الفروسية : الجزء الأول ـ فنون الفروسية فى تاريخ المشرق والمغرب

عَرَّبه وحَرَّرَه وعَلَّق عليه "شهاب الصرَّاف" ، الرياض

مكتبة الملك عبد العزيز العامة ٢٠٠٢م ، ٢٧٤ صفحة ، ٣٧ × ٢٧سم

يتـــناوَلَ هذا الكتابُ مَوْضُوعًا مُهِمًّا هو « الفروسية » بكُلِّ جوانبها المتمثِّلَة فى : رُكـــوب الخَـــيْل وسياستها ، وتَدريب الفارس على استخدام الأسلحة ، وفَنّ الرَّمى بـــالقوس ، والصـــيد بمختلف أنواعه ، واللعب بالكرة والصولجان ، والتى تُعَدّ حَصيلة تـــزاوج ثقافات شُعُوب المنطقة التى ازْدَهَر فيها الإسلام ، بحيث أضحت نتاجًا فريدًا وأصيلاً للحضارة العربية الإسلامية وتجلياتها فى السِّلْم والحَرْب .

وبذلـــك ، أصبح كُلّ فَرْع من فروع الفروسية علمًا قائمًا بنفسه ، أشبعه السَّلَفُ بحثًا وتنقيبًا ، ووَضَعوا فيه تصانيف عديدة نَتَج عنها أدَبٌ مستقل أطلق عليه : « أدَب الفُرُوسية » .

ويضمّ هذا المجلد : ثلاثين دراسة تتوزَّع على فترة زمنية تمتدُّ من الألف الرابع قبل المـــيلاد ، وحتى القرن الثالث عشر الهجرى ، والتاسع عشر للميلاد ، ويتقاسم نطاقها الجغـــرافى مناطق الشرق العربى والشرق الإسلامى وامْتداداتها الأسيوية ، وبلاد المغرب العـــربى وامـــتداداتها الأفريقـــية والأوروبية (أسبانيا) وجاءت مقالاتُه لتُغَطىّ مختلف التَّخَصصـــات كالتاريخ والآثار والفنون الإسلامية مع بعض الإسهامات المتخصصة فى الفن الحربى والسلاح وعلوم الفروسية .

ومـــن بـــين مقالات هذا المجلد أشير إلى مقالة "ديفيد نيكول" المهمَّة عن « حرب الخَـــيَّالة وتطورهـــا فى العصور الإسلامية الأولى » والتى استعرض فيها كاتبها بمنهجية مركـــبة مـــراحل تطوُّر الخيالة والفن الحربى منذ الجيوش الإسلامية الأولى وحتى القرن الســـادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى . ومقال "شهاب الصَّرَّاف" – محرِّر الترجمة العربـــية – عـــن « أدب الفروســـية فى العصرين : العبَّاسى والمملوكى » التى ضَمَّنها خلاصـــة مكـــثَّفة لأبحاثه فى الموضوع ، وأثْبَت فيها : أنَّ أدَبَ الفُرُسيَّة كُتِبَ متنه فى

العصر العباسى ، الذى يعدّ أهم وأزهى عُصُور الفروسية فى تجلياتها ومعانيها المختلفة ، وأنّ العَصْـــر المملوكى أعادَ نَسْخَه وتدويره والإضافة إليه . ويمثل هذا المقال : مقدِّمةً منهجية أولية تعين الباحثين على تلمُّس طريقهم فى هذا المبحث الوَعِر .

وتـــناوَل "ألستر نورثيدج" فى مقاله عن « سِباق الخيل وميادينه فى سامَرَّاء » هذا الموضـــوع من زاوية آثارية مع نبذة تاريخية مختصرة ، أمَّا مقالة بياته ســـيورت – ماير « ركـــوب الخَـــيْل فى بداية العَصْر العبَّاسى » فهى نَصٌّ عن ركوب الخَيْل ورياضتها اجـــتزئ من مُصنَّف « الفروسية والبيطرة » "لابن أخى حِزام الخُتَّلى" الذى يُعدُّ أقدم نَصٍّ عن فن الركوب وَصَلَ إلينا من العَصْر العباسى الأوَّل .

ويضم هذا المجلّد كذلك مقالاً "لما يكل ما ينكه" عن الرُّنوك والفروسية فى العصر المملوكـــى . حـــاول أن يربط فيها بين الرُّنوك والفروسية ، ومقالاً طريفًا "لروبرت إيروين" عن « أكْل لَحْم الخَيْل وشُرب لَبَن الأفْراس فى العصر المملوكى » تناول فيها جانـــبًا مـــن تقالـــيد الممالـــيك الأتراك والمغول وعاداتهم ذات الصِّلَةَ بالخَيْل ، والتى استوطنت معهم فى مصر والشام .

وجـــاءت الفروسية العثمانية امتدادًا للفروسية العربية الإسلامية ، ولكن مع شيءٍ من الحَذْف والإضافة ، ويشتمل الكتاب على مقالة واحدة عن « الفُرُوسية العثمانية » "لمايكل روجرز" تناول فيها فِرَق الخيَّالة والخَيْل عند العثمانيين .

وفى المجلـــد ، أيضًا عَدَدٌ من المقالات التى تناولت الخَيْل والفروسية من الناحيتين : الفنية والجمالية ، فتناولت "أنّا كونتاديني" فى مقالتها « الخَيْل فى مخطوطتين من كتاب مـــنافع الحَـــيَوان "لابن بَخْتِيشوع" ، المنمنمات التى تزين هاتين المخطوطتين وقارنت بينهما وبين فَنّ التصوير الإسلامى ، وتُحَدّثنا "تيريز بيطار: عن « مخطوط مُصَوَّر عن عـــلم الخَـــيْل فى المكتبة الوطنية بباريس مع نَشْر قطعة منه . ويستعرض "محمد عيسى ولى" فى مقالـــه « مخطوط فَرَس – ناتة المحفوظ فى المكتبة الملكية بقلعة وندسور » مادَّة هـــذا الكتاب المترجم إلى الفارسية من المصنف المملوكى المعروف « كامِل الصناعتين فى البَيْطَرَة والزَّرْدَقَة » لأبى بكر بن البيطار .

ويشتمل المجلد كذلك على عدة مقالات عن تصوير الخُيُول فى إيران والهند فى القرن العاشر الهجرى "لشيلا كانبى" وعن « ظهور مواضيع الصَّيْد فى زخارف السجاجيد والأقمشة الصَّفوية » "لدانييل ووكر" ، وعن « تصوير الخيول على المسكوكات الإسلامية » "لسعود ذياب" .

وخُصِّصَت للحصان العربى مقالتان هما : مقالة "سايمون دغنى" عن « تجارة الخيول العربية فى الهند فى العصر الوسيط » ، ومقالة عَلاَّمَة الجزيرة الراحل الشيخ "حَمَد الجاسر" المعنونة « مخطوطة عباس باشا وأنساب الخَيْل العربية الحديثة » .

أمَّا مُعَرِّب هذا المجلَّد ومُحَرِّره والمُعَلِّق عليه ، فهو الباحث العراقى المعروف فى مجال علوم الفروسية الدكتور "شهاب الصَّرَّاف" مدير المركز الدولى لدراسات الفروسية فى باريس ، الذى أسهم فى الكتاب بمقالة مرجعية أساسية عن « أدب الفروسية فى العصرين العباسى والمملوكى » ، كما جاءت تعليقاته واستدراكاته على ما جاء فى الطبعة الإنجليزية وشروحه المتخصّصة ، إضافةً إلى الكشافات الفنية التفصيلية التى صَنَعَها للطبعة العربية والتى تخلو منها الطبعة الإنجليزية ؛ لتجعل من الطبعة العربية مرجعًا فريدًا متميزًا لا غنى عنه للباحثين فى علوم الفروسية والفروسية ، العربية الإسلامية بوجه خاصّ .

إنَّ ظهور هذا المجلَّد فى طبعته العربية التى تولّت إخراجه مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض ، يعدّ بكل المقاييس إضافةً مُهمّةً فى حقل دراسة الفروسية ، هذا العلم الذى مازال فى بداياته ، والذى يحتاج إلى تضافُر جهود المتخصِّصين لرسم حدوده وتثبيت ضوابطه وترسيخ تقاليد بحثه .

أ . ف . س .